

صفات عباد الرحمن



إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

غفر الله له ولوالديه

الطبعة الأولى

٢٠١٩/١٤٤٠


صفات عباد الرحمن

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النَّشر

البدر ، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد

صفات عباد الرحمن. / عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر.- المدينة المنورة ، ١٤٤٠هـ

٣٢ ص ؛

ردمك: ٢-٢-٩١٢٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الوعظ والإرشاد

أ. العنوان

ديوي ٢١٢ ١٤٤٠/٤٧٣٧

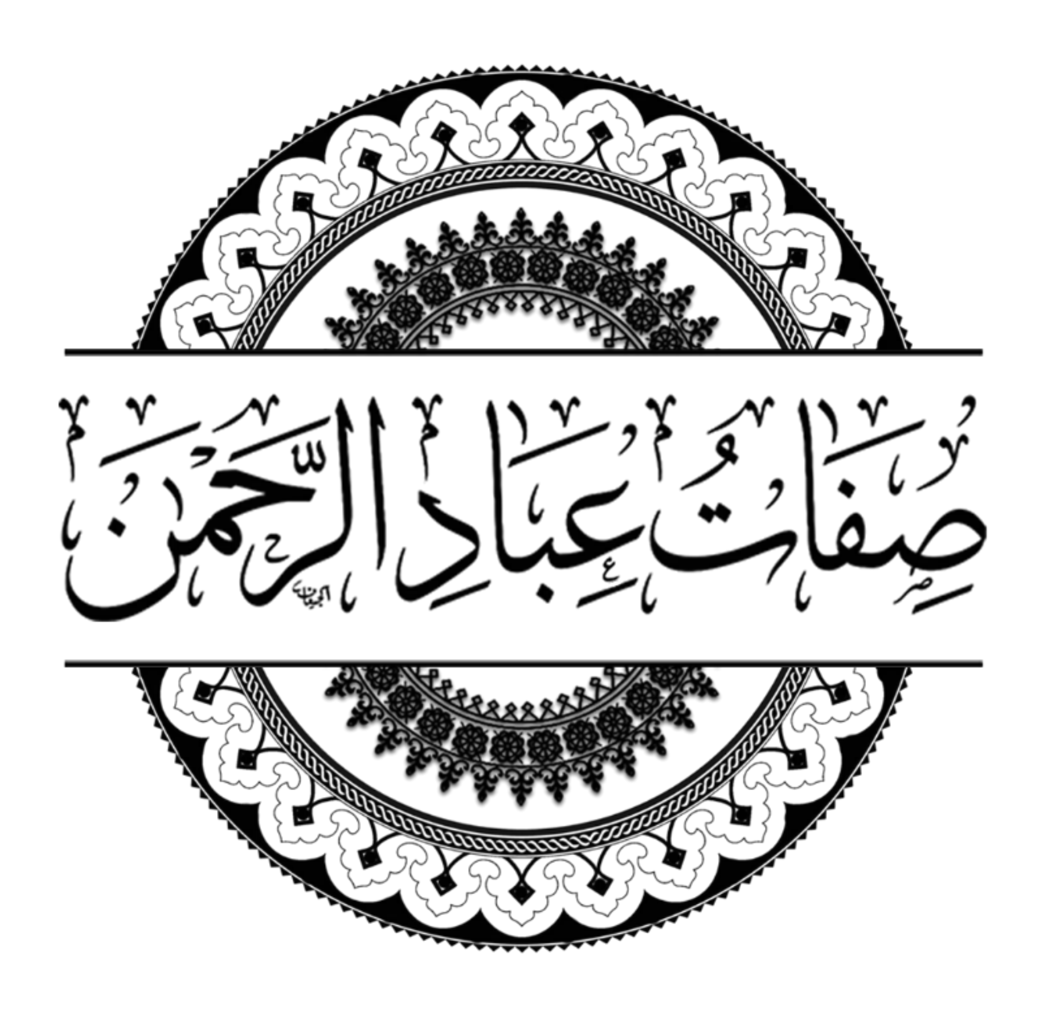
رقم الإيداع: ٤٧٣٧/ ١٤٤٠

ردمك: ٢-٢-٩١٢٠٣-٦٠٣-٩٧٨

تمَّ تَنْسِيقُ هذه المادة ومُراجعتها في



هاتف: ٠٠٧٧ ٥٠٣٥ ٩٦٥+ البريد الالكتروني: maktab.etqan@gmail.com



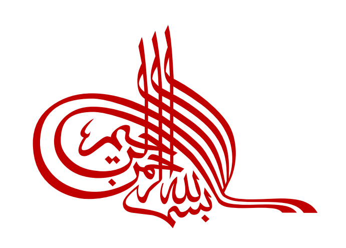
إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

غفر الله له ولوالديه

الطبعة الأولى

١٤٤٠/٢٠١٩



الحمد لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعد:

فإنَّ مقامَ العُبوديَّةِ لله مقامٌ عظيم، بل هو أشرف المقامات التي امتدَحَ الله ﷻ بها أنبياءَهُ وأولياءَهُ، وأضافَ أهلها لنفْسِهِ في آيات عديدة؛ تشريفًا لهم وتعليةً لمقامهم.

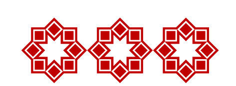
وقد ذكرَ الله عَزَّوَجَلَّ لأهل هذا المقام الشَّريف أوصافًا عديدة، وسِماتٍ مُباركة، في نصوصٍ كثيرة؛ ليجتهدَ المسلمُ في الاتِّصاف بها، والعمل بمقتضاها؛ لينال المقامَ الرَّفيع، والشَّرفَ الكبير عند رب العالمين.

ومن أبرز المواضع التي ذكر الله فيها أوصافَ عباده المؤمنين في سياقٍ واحِدٍ ما جاء في خواتيم سورة الفرقان،

حيث ذكر ثمانيةَ أوصافٍ، بدأها بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ...﴾، وفي هذا دلالة على عظيم اختصاصِهم بما دلَّ عليه هذا الاسم من معاني الرحمة، فبرحمته هداهم للإيمان، وربَّاهم على طاعة الرحمن، وحُسْنِ التقرُّب إليه عَزَّوَجَلَّ.

ثم عدَّد صفاتهم كلَّ صِفَةٍ مَبْدوءَةٍ بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ ﴾، وختمَ الله جَلَّ وَعَلَا هذا السِّياق الكريم بذكرِ ما أعدَّهُ لهم مِنْ ثوابٍ عظيم، وأجرٍ جزيل.

وجديرٌ بكلِّ مسلمٍ يسعى في نجاة نفسِهِ وسعادتها أن يتأمَّلَ صفاتِ عباد الرحمن التي وردت في هذا السِّياق المبارك؛ فيَعْرِفَها معرفةً جيدة، ثم يَسْعى بعدَ ذلك في تحقيقها على أكمل وجهٍ.



الصفة الأولى

السَّكِينة والوَقار والتواضع لله ﷻ ولعباده

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

من صفات عباد الرحمن وجميل نُعُوتهم: تواضعهم لله ﷻ ولعباده، فيمشون بسكينةٍ وطُمأنينة ووقار، وهذا التواضعُ الذي ظَهر علىٰ مشيهم وهَيئتهم إنَّما هو ثمرةٌ من ثمار الإيمان، وأثرٌ مِن آثاره.

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، أي: «بالطَّاعة والعَفافِ والتَّواضع»[1].

ومِن مظاهر تواضُعِهم وسكينَتِهم أنهم إنْ واجهوا في طريقهم بعضَ أهل السَّفَهِ والجَهْلِ فإنهم يُخاطِبونهم

---

(١) أخرجه الطبريُّ في «تفسيره» (١٧/ ٤٩١).

بكلامٍ سديدٍ سالمٍ من السَّفه والجَهْل، وهذا معنىٰ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، أي: قولًا يَسْلَمُونَ به مِنَ الإثم واللَّغو.

وهُم بهذا قد جَمَعوا لأنفسهم السلامةَ من عثرتين: عَثْرَة الرِّجْل، وعَثْرَة اللِّسان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ولما كانت العَثَرَة عثرتين:** عثرة الرِّجْل، وعثرة اللسان؛ جاءت إحداهما قرينةَ الأخرىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، فوَصَفَهُم بالاسْتِقامة في لفظاتهم وخطواتهم»[1].

فلا يقابلون الجاهلين والسُّفهاء بمثل جهلهم وسَفَههم، وإنما يُعْرِضُون عنهم، ويُخاطِبونهم بكلامٍ سليمٍ من هذه الآفات، فيَدْفعون الإساءةَ بالإحسانِ، كما

---

(١) «الداء والدواء» (ص٣٧٦).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

فالناس يتفاوتون في أخلاقهم وتعاملاتهم تفاوتًا عظيمًا، والواجِبُ على المُسْلِم بحُسْنِ ديانته، وجميل أخلاقه أن يتَّصفَ بما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن عِباد الرحمن في الآية السابقة، فيُقابِلُ الإساءَةَ بالإحسان، ويتواضع لعباد الله عَزَّ وَجَلَّ مهما كانت أخلاقهم.

وينبغي قبل ذلك أن يستعين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أموره كُلِّها، وأن يدعُوَهُ أن يهدِيَهُ لأحسن الأخلاق، وأن يصرِفَ عنه سيِّئها كما ثبت عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول في دعاء الاستفتاح: «**اهْدِني لأحْسَنِ الأخلاق، لا يَهْدي لأحْسَنِها إلا أنت، واصْرِفْ عنِّي سَيِّئَها، لا يصرِفُ سيِّئَها إلا أنت**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم: (٧٧١).

وكان النبيُّ ﷺ يُرشِدُ مَن خَرَجَ من بيته أن يقول: «**اللهمَّ أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَمَ، أو أَجهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ**»(١)؛ وفي هذا الدُّعاء المبارك تَحصِينٌ للعبد أن يكون منه جَهلٌ على الآخرين، وأن يسْلم هو من جَهلِ الآخرين عليه.



---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (٥٠٩٤)، والترمذيُّ في «جامعه» رقم: (٣٤٢٧)، والنسائي في «سننه» رقم: (٥٤٨٦)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم: (٤٧٠٩).

الصفة الثانية

محافظتُهم على الصلاة، لاسيَّما قيام الليل

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾

ومِن صِفات عِباد الرحمن الظَّاهرة مُحافظتهم على أداء الصلاة التي هي أعظمُ الأعمالِ البدنية، فرضًا ونَفلًا، لاسيَّما صلاة اللَّيل، فإنَّها سنَّةٌ مؤكَّدة عن رسول الله ﷺ، وجاء في فضْل المُحافَظَةِ عليها أحاديثُ عديدة، ولهذا جاءَ التنصيصُ عليها في الآية السابقة أنَّها مِنْ صِفات عِبادِ الرحمن.

وممَّا وردَ في فضْل قِيام الليل قوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلاة بعد الفريضة: صلاةُ الليل**»(١).

وقال ﷺ: «**عليكم بقِيام الليل؛ فإنه دأبُ الصالحين**

---

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (١١٦٣).

قَبْلَكم، وهو قُربةٌ إلىٰ ربِّكم، ومَكْفَرةٌ للسيِّئات، ومَنْهاةٌ للإثم»(١).

وأمَّا وَقْتُ قِيام الليل فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قَد قام مِنْ الليل كُلِّه، فكان يُصلي في أوَّل الليل، وفي أوْسَط الليل، وفي آخِرِ الليل، ثمَّ استقرَّ قيامُهُ في آخر الليل عند السَّحَر؛ الذي هو أفضلُ وقتٍ لصلاة الليل، فإنَّه وَقتُ نُزول ربِّ العالمين إلىٰ السَّماء الدنيا كما ثبتَ عن النبي ﷺ قال: **«ينزلُ ربُّنا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كُلَّ ليلةٍ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يدعوني فأَسْتَجيبَ له، مَن يَسْألني فأُعْطِيَهُ، مَن يستغفرُني فأَغْفِرَ لهُ»**(٢).

فينبغي لكُلِّ عَبْدٍ ناصِحٍ لنَفْسِهِ أن يحرصَ علىٰ أن

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم: (٣٥٤٩)، وصححه الألبانيُّ في «إرواء الغليل» رقم: (٤٥٢).

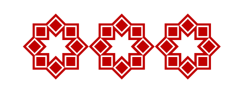
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (١١٤٥)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٧٥٢).

يكونَ له حَظٌّ مِنْ صلاة الليل، ولو بركعاتٍ قليلة؛ لينال هذا الفضلَ الكبيرَ.

فهذا هو شأن عباد الرحمن مع صلاة الليل، تعبُّدًا ومناجاةً وخضوعًا وخُشوعًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سُجُودهم وركوعهم وقيامهم.

فإذا كانت هذه حالهم في صلاة الليل -التي لم يفترضها الله عَزَّوَجَلَّ عليهم- فكيف شأنهم مع الصلوات الخمس المكتوبات التي هي أعظم أركان الدين بعد الشهادتين؟!

لاشكَّ أنَّهم عليها أشدُّ حِرصًا ومُحافظة.



الصفة الثالثة

خَوْفُهم وإشْفاقُهم مِن عذاب النَّار

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾

فعِبادُ الرحمن مع إِحْسانهم بالعَمَلِ والتَّعَبُّدِ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قد خافوا ووَجِلوا من عذاب الله وسَخَطِهِ، وهذه حال المؤمنين الكُمَّل؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾، أي: يُقَدِّمون ما يُقدِّمُونه من عباداتٍ وطاعاتٍ وقُلوبُهم خائفةٌ أن تُرَدَّ عليهم أعمالُهم، فيُصيبُهم بعد ذلك عذابٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهذه صِفةٌ عظيمةٌ مِن صفات عباد الرحمن؛ أنَّهم يُحسنون في أعمالهم، وفي الوقتِ نفسِهِ يُشفِقُون أن لا تُقبل منهم.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن

هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: أَهُمُ الذين يَشْربون الخَمْرَ ويَسْرقون؟ قال: «**لا يا بِنتَ الصِّديق، ولكنَّهم الذين يَصُومون ويُصَلُّون ويَتَصدَّقون، وهُمْ يخافون أن لا تُقْبَلَ منهم**»[١].

قال الحسنُ البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمنُ جَمَعَ إِحسانًا وشَفَقَةً، والمنافقُ جَمَعَ إساءةً وأمنًا، ثم تلا الحسن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾»[٢].

فالمنافق -والعِياذُ بالله- يُسِيءُ العَمَلَ، وهو مع ذلك آمِنٌ من عذاب الله غيرُ مُشْفِق، بخلاف المؤمن فإنَّ الخوف مِن عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكون زاجِرًا له عن اقتراف المعاصي، كما أنَّ الرَّجاءَ لرحْمةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سائقٌ له للازدياد من الفضائل والقُربات إلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) أخرجه الترمذيُّ في «الجامع» رقم: (٣١٧٥)، وصححه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٦٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٨).

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

وقول عباد الرحمن في دُعائهم السابق: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ يتضمَّنُ أيضًا الدُّعاء بصَرْفِ الأَسْبابِ المُفْضِيةِ إلى عذابِ النار، بالتَّوفيقِ للبُعْدِ عنها، كما صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه علَّم عائشة أمَّ المؤمنين رضي الله عنها أن تدعوَ فتقول: «**اللَّهمَّ إني أسألك الجنَّةَ، وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ أو عَمَلٍ، وأَعوذُ بكَ من النَّار، وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ أو عمل**»(١).

وقولهم: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: دائِمًا مُلازِمًا شديدًا، ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بئسَ المُسْتقر، وبئسَ الخُلود.



---

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم: (٣٨٤٦)، وصححه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٥٤٢).

الصفة الرابعة

تَوَسُّطُهم في النَّفَقَةِ بين الإسْراف والتَّقْتِير

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾

ومن أوصاف عباد الرحمن توسُّطُهم في باب النَّفقة بين الإسراف والتَّقتير؛ لأنَّهم عَلِموا أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا سيَسْأَلهم يوم القيامة عن هذه النِّعمةِ التي أعطاهم إيَّاها، كما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**لا تَزُولُ قَدَما عَبْدٍ يوم القِيامة حتى يُسْأَل عن عُمُرِهِ فِيمَ أَفناهُ، وعن عِلْمِهِ فيمَ فَعَلَ، وعن مالِهِ مِنْ أينَ اكْتَسَبَهُ، وفِيمَ أَنفَقَهُ، وعن جِسْمِهِ فِيمَ أبلاهُ**»(١).

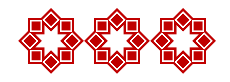
فأمَّا عدمُ إسْرافِهم وعَدَمُ تقْتِيرهم في النَّفقة فإنَّهم

(١) أخرجه الترمذيُّ في «الجامع» برقم: (٢٤١٦)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» برقم: (٧٣٠٠).

لا يُبذِّرون فيها فيتَجاوزون الحدَّ الذي أباحه الله عَزَّوَجَلَّ من حاجَاتهم الواجِبةِ والمستحبة، **ويُقابلُهُ في التَّقْتِير:** أنَّهم يَحْرِصون على الإنفاق لما لا بدَّ لهم منه، ممَّا يُقِيم حياتهم، ويكون زادًا ومُعِينًا لصلاح آخرتهم.

وهذا هو الواجِبُ على المسلم؛ أن يكون وسطًا في أمورِهِ بين الإِفْراط والتَّفريط، سواءٌ في هذا الباب أو غيره مِن أبواب الدِّين والدُّنيا.

فعن كَعْبِ بن فَرُّوخ، عن قتادة، عن مُطَرِّف بن عبد الله قال: «**خير هذه الأمور أَوسَاطُها، والحَسَنةُ بينَ السَّيِّئَتَين**»، فقُلْتُ لقَتادة: ما الحَسَنَةُ بينَ السيِّئَتَين؟ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾[1].



(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٠٠).

الصفة الخامسة

بُعْدُهم عن كبائر الذُّنوب وعظائِم الآثام

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾

فمِنْ أبرزِ صِفات عباد الرحمن المُتَّقين: اجتنابهم كبائر الذُّنوب والآثام، وقد خَصَّ الله عَزَّوَجَلَّ في هذا السياق ثلاثَ كبائر بالذِّكر؛ لأنَّها أعظمُ الكبائر وأشدُّها على الإطلاق، وهي:

* **الشرك بالله تعالىٰ.**
* **وقَتلُ النَّفس المَعصُومة.**
* **والزِّنىٰ.**

فأمَّا الشِّرْكُ فهو متعلِّقٌ بحقِّ الله علىٰ عباده، وهو الذَّنبُ الذي لا يغفِرُهُ الله جَلَّ وَعَلَا لمَنْ مات عليه، كما قال

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾.

فإذا صَرَفَ العبدُ شيئًا مِنَ العبادة لغير الله؛ كالدُّعاء والاستِغاثة والنَّذر والذَّبْح وغيرها، فقد ارتكبَ أعظمَ المُوبقات، وأكبرَ الجرائم، وهو الشِّرْكُ بالله ﷻ.

وأمَّا قتل النَّفس المعصومة فهي جريمةٌ شنيعَةٌ، يتعلَّقُ حقُّها بالقاتِلِ الذي ظلم نفسَهُ بهذا الجُرْم، وتتعلَّق بالمقتول الذي أُزهِقت نفسُهُ بغيرِ وَجْه حقٍّ، وتتعلَّق بأولياء المقتول أيضًا.

ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**لزوالُ الدُّنيا أهونُ على الله مِنْ قتلِ مؤمنٍ بغير حَقٍّ**»(١).

وأمَّا الزِّنى فهو مِنْ أشدِّ الفواحِشِ التي تُمْرِضُ القلبَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم: (٢٦١٩)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم: (٥٠٧٨).

وتُفسِدُهُ، وتُلحِقُ بالعبد والمجتمع أضرارًا عديدة ومتنوِّعة؛ إيمانيةً، وبدنيَّة، ونفسيَّة، واجْتِماعية.

قال النبيُّ ﷺ: «**إذا زنى الرَّجُلُ خَرَجَ منه الإِيمانُ وكان عليه كالظُّلَّة، فإذا انقطعَ رَجَعَ إليه الإيمان**»[١].

وقد حذَّر الله ﷻ ورسوله ﷺ مِنْ جميع الوسائل التي تُقَرِّبُ لهذه الفاحشة أو تكون سببًا لوقوعها؛ فجاء النَّهيُ عن خلوة الرَّجل بالمرأة الأجنبية، وعن إبداء المرأة شيئًا مِن زينتها إلا لمحارِمِها، وعن خُروجها من بيتها متعطِّرة ليجِدَ الرِّجالُ ريحَها، والأمرُ بغضِّ البصر للرِّجال والنِّساء، وغير ذلك من التَّشريعات الربَّانية التي تحفظُ المجتمعَ من هذه الكبيرة، وما ذاك إلا لخطورتها وسوء مغبَّتها.

وبعد أنْ ذكرَ الله ﷻ اجتنابَ عِبادِهِ لهذه الكبائر

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم: (٤٦٩٠)، وصححه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٥٠٩).

الثلاث؛ أعْقَبَها بالوَعيد لمن قارَفَ هذه الذُّنوب بالعذاب الشديد المُضاعَف في جَهَنَّم -والعِياذ بالله-، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾.

ثمَّ استثنىٰ جَلَّوَعَلَا مِن هذا الوعيد الشَّديد مَن بادَرَ وسارَعَ إلىٰ التَّوبة مِنْ هذه الكبائر، وأناب إلىٰ ربِّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ورجع إليه؛ لينال العفوَ والغُفرانَ، مَعَ الاسْتِكْثار مِنَ الأعمال الصالحات، وأنواعِ الطَّاعات التي تُقرِّب إلىٰ الرحمن تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ لترتفعَ درجتُهُ عند ربه عَزَّوَجَلَّ، وتتبدَّل سيئاتُهُ حسنات.

قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.



الصفة السادسة

بُعدُهم عن مجالس الباطل والمُنْكرات

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾

ومِنْ أخلاقِ عباد الرحمن، وجميل صِفاتهم أنهم يُنَزِّهون أنفسَهم عن حضور المجالس التي يَعُمُّ فيها المنكر، ويَغْمُرها الباطِل واللَّغو المحرَّم، فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، أي: لا يَحْضُرونَ الزُّور والباطِل، ولا يَغْشونَ مَجالِسَهُ، ولا يُشارِكُون أهْلَهُ.

فيدْخُلُ في الآية السابقة:

* المجالسُ القائمةُ على المعاصي والآثام: كالغيبة، والنَّميمة، والسُّخرية، والاسْتِهزاء، والكذب، والغِناء، ومُشاهدة المنكرات، والفواحش التي تُعْرَضُ في شاشات التلفاز، وأجهزة الجوَّال، وغير ذلك.

* **ويدْخُلُ فيها**: المجالسُ القائِمةُ علىٰ تَرْويجِ الأفكار المنحرفة، والآراءِ الفاسِدة، والأعمال المُبْتَدَعة من دعاة السُّوء والضَّلال.

* **ويَدخُلُ فيها أيضًا**: المجالسُ التي تُقامُ فيها أعياد المشركين، والمواسِم التي يحتَفلون فيها، فيَحْرم علىٰ المُسلِمُ حضورها أو تهنئتهم وإظهار الفرح والسُّرور بها.

فجميعُ ما تقدَّم تشْملُهُ الآية، ولهذا تنوَّعت عِبارات السَّلف الصالح في بيان المُراد بالزُّور في الآية.

قال الحافظُ ابنُ جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدَ أن ساقَ أقوال السَّلف في الآية: «**فأولىٰ الأقوال بالصواب في تأويله أن يُقال**: والذين لا يشهدون شيئًا مِنَ الباطل؛ لا شِرْكًا، ولا غِناءً، ولا كَذِبًا، ولا غيرَهُ، وكُلّ ما لَزِمَهُ اسمُ الزُّور؛ لأنَّ الله عَمَّ في وَصْفِهِ إيَّاهم أنهم: لا يشهدون الزُّور»[١].

---

(١) «جامع البيان» (١٧/ ٥٢٣).

فعِباد الرحمن لا يَشْهدون هذه المجالس بجميع صُوَرِها، ومِن باب أولى أن لا يَقَعَ منهم الزُّور.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾: فهم لا يَغشونها، ولا يأتونَ شيئًا منها قَصْدًا، ولكنْ إنْ قُدِّر أنْ مرَّ أحَدٌ منهم بمجلسٍ فيه شيءٌ مِن هذه المنكرات أو الباطِل، فإنَّه يَمُرُّ بها مُكْرِمًا نَفْسَهُ عنها، مُعْرِضًا عنها، مُتنَزِّهًا عن الجُلوسِ فيها.



الصفة السابعة

تعظِيمُهُم لكلام الله جَلَّ وَعَلَا، وعملُهُم بما فيه.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾

كلامُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى شأنُهُ عظيم، ومكانتُهُ جَليلة في نفوسِ عباد الرحمن، فلا يُقابِلونَهُ بالصُّدُودِ والإِعْراض، بل يُعَظِّمونَهُ ويُجِلُّونه، ويُحسِنون اسْتِماعَهُ والانْتِفاع به.

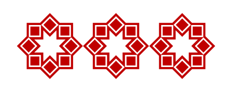
وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: إذا استَمَعوا لكلام الربِّ لم يكونوا كالأصمِّ الذي لا يَسْمَعُ فينتَفِعُ بالموعِظة، وكالأعمىٰ الذي لا يُبصر، بل هم يُحْسِنون الاسْتِماع، ويَنتَفِعون بالمواعِظ، ويَعْملون بأحكامِهِ وهِداياته.

فعن قتادة بن دعامة أنه قال عند هذه الآية: «لم يَصُمُّوا

عن الحقِّ، ولم يَعْمَوا فيه، هم قومٌ عقلوا عن الله، فانتفعوا بما سَمِعوا من كتاب الله»[١].

وقد ذمَّ الله عَزَّوَجَلَّ مَن يتكبَّرُ على آيات الله وهداياته، وتأخُذُه العِزَّة بالإثمِ فيستمرُّ في باطِله، وتوعَّده بعذاب جهنَّم، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.

وقال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ أَبغضَ الكلام إلى الله أنْ يقولَ الرَّجُلُ للرجل: اتَّقِ الله، فيقول: عليكَ نفسك**»[٢].



(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٠).

(٢) أخرجه النَّسائيُّ في «السُّنن الكبرىٰ» رقم: (١٠٦١٩)، وصححه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٥٩٨).

الصفة الثامنة

عِنايتُـهُم بالدُّعاء والتَّضَرُّعِ لله ﷻ

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُـرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَـلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

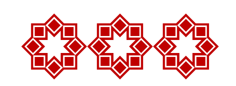
فمِنْ صِفات عِباد الرحمن الكُمَّل: عنايتهم بالدعاء، فهم مُفتقرون إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، مُلْتَجِئون إليه، مُقْبِلون عليه، وجميعُ حاجاتهم ومصالحهم الدينية والدنيوية يرجُونها منه وحده لا شريك له.

ثمَّ هم في دُعائِهم يحرصون علىٰ جوامِع الدُّعاء وأنفعِهِ، فقولهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُـرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَـلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ هذا الدعاء من أجمع الدعاء وأنفعه، ففيه أوَّلًا دعاء المرء بأنْ تَقَرَّ عينُهُ، ويسعَدَ قلبُهُ بصلاح أهله وأولاده؛ في تعبُّدهم، وأخلاقهم، وتعاملاتهم، وعَيْشِهِم، وبرِّهم بوالديهم، وغير ذلك.

ثمَّ قولهم: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يتضمَّن الدُّعاء بصلاحِ النَّفس أوَّلًا، ودلالتها على الخير، حتى يكُونَ بعد ذلك قُدوةً للآخَرين في خصال الخير، فيأتمَّ الناس به، ويقتدوا بسَمتِهِ.

فلا يُمْكِنُ للعبدِ أن يكون قُدْوةً وإمامًا للـمُتَّقين بَعْدَه إلا إن كان مُتأسِّيًا بالمُتَّقين قبْلَهُ، مُقْتديًا بهم في نفسِهِ، حريصًا على تحصيل خصال الخير والفلاح، فعِنْدَ ذلك سيَحْرِصُ المتَّقون على الائْتِساءِ والائتِمام به، والانتِفاع بتوجيهه وهَدْيه.

ولهذا ينبغي على كُلِّ مسلمٍ أن يحرِصَ على هذا الدُّعاء، وأن يكون على لِسانه؛ لينالَ هذا الخيرَ العظيم الذي تضمَّنه.



خاتمة

ثم ختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا السياقَ الـمُبارك بذكر جزاءِ مَن اتَّصَف بالصِفات السَّابقة، وعظيم ثوابه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾، فكان الجزاءُ مِن جِنس العمل؛ فلمَّا كانت أوصافهم رفيعةً عاليةً كافأهم رب العالمين بالغُرْفة العالية جزاءً لهم.

وقد جاء وَصْفُ هذه الغُرف على لسان النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «**إِنَّ أهلَ الجنَّةِ يَتَراءَوْنَ أهلَ الغُرَفِ مِن فَوْقهم، كما يَتَراءَوْنَ الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابر في الأُفُقِ، مِنَ المَشْرقِ أو المَغْرِبِ، لتَفاضُلِ ما بَيْنَهُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٢٥٦)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٢٨٣١).

فأهل الجنَّة إذا أرادوا أن ينظروا لأهل الغُرَفِ يرفَعُون رُؤُوسَهم ويرونَ هذه الغُرف كما نُشاهِدُ نحنُ الكوكبَ العالي الرَّفيع في السَّماء، ممَّا يدلُّ على عُلُوِّ منازِلهم، ورِفْعَةِ درجاتهم في جنات النعيم.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ أي: تتلقَّاهم الملائكةُ بالتَّحيةِ والتَّرحِيب والسَّلام المُتضمِّنِ للسَّلامَةِ مِنَ النَّقائِصِ والأَمْراض والمُكَدِّرات.

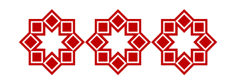
فهذا مآل هؤلاء ومآبهم الذي أكرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به لكمال تعبدهم وانقِيادهم لهدايات كتابه الكريم.

وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تمام هذا السِّياق: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾: فيه أنَّ مردَّ النَّجاة والسَّعادة إلى العِبادة التي خلقَ الله جَلَّ وَعَلَا الخلقَ لأجلها، وأوْجَدَهم لتحقيقها.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وأصحُّ الأقوال في الآية أنَّ معناها: ما يَصْنَعُ بكم ربِّي لولا عِبادتكم إيَّاه، فهو سبحانه لم يخلقْكم إلا لعِبادته»[1].

بلَّغنا الله أجمعين صفات عباد الرحمن، وثَبَّتَنا على الحقِّ والهُدى والإيمان، ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا وجميع المسلمين لما يحبُّهُ لنا ويرضاهُ مِنَ القولِ والعَمَلِ، فإنَّه لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

والحمد لله رَبِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين.



(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٨٣).


مكتب إتقان
للتحقيق والدراسات العلمية